بعض النقابات ذات الطبيعة الإصلاحية مسؤولية عدم تنظيم العمّال داخل إسرائيل واستيعابهم في النقابات» (ص ١٠٣ من كتاب الطبقة العاملة الفلسطينية...) وأود هنا الإجتزاء من دراسة د. جفال في الصفحة ٥٥ : «فقد عملت السلطات الإسرائيلية، منذ قيام إسرائيل، على إبقاء الأيدي العاملة العربية أيد عاملة رخيصة وضعيفة الإمكانيات التقنية والفنية، بهدف تحقيق المزيد من الأرباح لحساب أرباب العمل، من خلال تكثيف استغلالها، عن طريق تشويه التركيب المهني للأيدي العاملة العربية، إذ أن ذوي المهن العلمية والأكاديمية لا تتجاوز نسبتهم ١,٧ بالمئة، من مجموع العاملين العرب في عام ١٩٧٩» وأعتقد أن ما كتب هنا يتناقض تماماً مع مفهوم «تبلتر» الطبقة العاملة الفلسطينية الذي يستخدمه د. جفال، أكثر من مرة في دراسته، إلا إذا كانت البروليتاريا، كمصطلح، هي غير الطبقة التي خلقتها الثورة الصناعية ونمو الرأسمالية.

٤ ــ إمكانيات التنظيم النقابي في صفوف الطبقة العاملة

وتستخلص روز مصلح في دراستها في «شؤون» (ص ١٣٠)، أن «تفريغ المناطق المحتلّة، من الفئات الشابة في سن العمل، مكّن إسرائيل من تحقيق السيطرة على المناطق المحتلّة وإخضاعها، من خلال حرمانها من أية إمكانية للتنظيم».

ونحن نرى أن هذا الإستنتاج، عملياً، غير دقيق، لأن الإتحاد العام لنقابات العمّال في الضفة الغربية المحتلّة، يضم الآن ٢٧ نقابة وعشرات من المكاتب النقابية، تضم في قاعدتها أكثر من ٣٠ ألف عامل، جلّهم من العاملين في المؤسسات المحليّة، وهذه النقابات بُنِيت بالجهد الدؤوب وبالتضحيات. ورغم كل الظروف، فهي فعلاً آخذة في الإتّساع، بسبب تحسّن المزايا الداخلية للطبقة العاملة، ولكن ليس بالطريقة الآليّة التي تعكسها الإحصاءات والإستنتاجات المتعجّلة. وسوف تنخرط الجماهير العمّالية، العاملة داخل إسرائيل، في هذه النقابات، أيضاً، بتأثير سيرها التدريجي نحو الاستقرار والثبات؛ ذلك أن إسرائيل عاجزة، في النهاية، عن السيطرة على التحوّلات، داخل المجتمع الفلسطيني، التي تخلقها سياستها «اللصوصية» تجاه الموارد الإقتصادية للأرض المحتلّة، بما فيها الأرض والأيدي العاملة.

٥ ــ النضال السياسي والنضال الطبقي

ويبرز د. جفال في دراسته، المعارك السياسية التي خاضتها الجماهير الفلسطينية داخل إسرائيل والتي أخذت مداها، في يوم الأرض، عام ١٩٧٦، وأخذت أبعادها، في ميثاق شفاعمرو عام ١٩٨١، وفي مؤتمر الجماهير العربية الذي مُنِع عقده بأمر من بيغن نفسه، كرئيس للحكومة، وهو يربط بين النهوض الوطني وبين الدور الذي تضطلع به الطبقة العاملة وحزبها (راكح)، في قيادة نضال جماهيرنا.

وهنا أتساءل: ألا ننظر إلى الأمور نظرة ميكانيكية، حين نسعى في دراستنا إلى تشكيل فكرة (البلترة)، في صفوف طبقتنا العاملة، متناسين أنه لم تقم معارك مطلبية ملموسة في صفوف العمّال العرب، رغم اتساع هذه المعارك في صفوف العمّال اليهود؟ أفلا يجعلنا ذلك نفكر بمقارنة واقع جماهيرنا، داخل إسرائيل، بواقع السود في النظم العنصرية، كنظام جنوب أفريقيا، بدل التركيز على الجانب الطبقي البروليتاري عبر نظرة (أكاديمية) محضّة؟

٦ ــ دور المثقفين في النهوض الوطني وفي توجّه الصوت العربي

وإذ يركّز د. جفال على تحليل البنية الإجتماعية للجماهير الفلسطينية، داخل إسرائيل، وأثرها على «التصويت العربي» في الانتخابات الإسرائيلية، وإذ يمر سريعاً «بالعوامل الأخرى الحاسمة في التصويت العربي»، التي يعددها في مقدّمة دراسته ــ التمييز العنصري والإضطهاد القومي، وتأثير الإنتصارات التي حققتها الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة ــ فإنه ينسى الشق الثاني من العامل الأول، «الدور المتعاظم الذي يلعبه العمّال والمثقفون».